الإعلان الأول لحقوق الإنسان

حلف الفضول وحصيلة عقد من التعريف به

الدكتور جورج جبور*

حلف الفضول نشأ قبل الإسلام وباركه الإسلام، ويصح اعتباره أول تنظيم للدفاع عن حقوق الإنسان في العالم، والهدف الرئيس من التعريف به، تعريفاً إعلامياً منذ ٢١/ ١/ ١٩٩٣، im التأكيد على أن من تقاليد العربي رفض الظلم لا الرضوخ له. وينبثق عن هذا التأكيد إسناد معنوي فاعل لمؤسسات وحركات حقوق الإنسان العربية الراهنة في تصدِّيها للظلم ونضالها من أجل العدالة.

يصلح حلف الفضول إذاً أباً روحياً، ثابت النسب، محترم المكانة، لجميع هيئات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وربما في العالم كله.

ما حلف الفضول؟

نشأ أواخر القرن السادس الميلادي (٥٩٠ أو ٥٩٥م) في مكة واستمر ذا هيبة تنظيمية وأخلاقية في أيام معاوية؛ أي ما يمتد إلى نحو من ثلاثة أرباع القرن.

ففي أواخر القرن السادس الميلادي، وبسبب نزاع تجاري بين يمني ومكي، تعاهد فضلاء مكة في دار **عبد الله بن جدعان** ألا يدعوا ببطن مكة مظلوماً من أهلها؛ أو من غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه على ظالمه، حتى تُرَدَّ مظلمته. وشهد

* أستاذ في كلية الحقوق جامعة حلب. سوريا.

الرسول العربي الكريم هذا الحلف، فقال في حديث شريف متواتر: «شهدت مع أعمامي في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، لو أنني دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت». ثم إن الرسول ألغى كل أحلاف الجاهلية ماعدا حلف الفضول الذي كان يوصف بأنه «أشرف حلف كان قط».

وتابعت في كتب التراث تفعيلاً ناجحاً للحلف في إحباط أعضائه محاولة قام بها مكي لاغتصاب فتاة جميلة أتت مكة، كما تابعت تفعيلاً ناجحاً له في إحباط أبناء أعضائه محاولة قام بها عامل معاوية في المدينة لاغتصاب بستان تعود ملكيته إلى الحسين بن علي، شهيد كربلاء. وربما وردت في كتب التراث إشارات أخرى إلى هذا الحلف كما عند **أبي هلال العسكري** في كتابه المعروف: الأوائل.

هل يصح اعتبار حلف الفضول أول تنظيم للدفاع عن حقوق الإنسان في العالم؟

نعم؛ إذ لم نجد في التاريخ هيئة مماثلة له، سابقة عليه، تفرض على أعضائها التحرك لقمع الظلم. ونعم، إن شئنا أن نساوي بين العدالة وحقوق الإنسان وهي مساواة جائزة. وينبغي أن تجتمع معاً هاتان النعمتان.

وفي كل حال، ينبغي أن يكون لحلف الفضول حضور –ولو مختصر– في الأدبيات العالمية المؤرِّخة لحقوق الإنسان وتنظيم الدفاع عنها، ومن واجب الأمم المتحدة أن تقوم بذلك وهي تشيد في الأدبيات المؤرخة لحقوق الإنسان بالماغناكارتا، وبوثيقة الحقوق، وبإعلان حقوق الإنسان والمواطن. والأمم المتحدة لن تقوم بما عليها القيام به إلا إذا طالبتها بذلك الدول ذات المصلحة في التعريف بحلف الفضول.

ما حصيلة عقد من التعريف بحلف الفضول؟

منذ ابتدأتُ إعلامياً التعريفَ بحلف الفضول، من حيث إنه يصح اعتباره أول تنظيم للدفاع عن حقوق الإنسان في العالم، عبر مقال ظهر في جريدة الثورة الدمشقية (٢١/ ١/ ١٩٩٣) كانت الاستجابة العامة إيجابية، وإن بطيئة. ولعل أهم استجابة إيجابية في سنوات البداية كانت حماسة الشيخ حمد الجاسر، علاَّمة الجزيرة، (طيب الله ثراه)، للفكرة وحثه المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم على تبنيها، عبر مقال ظهر في جريدة الرياض السعودية وعبر مراسلات وأحاديث.

وقد قامت المنظمة العراقية لحقوق الإنسان (فرع سورية) مشكورة بنشر كراس في

(١١٩ صفحة) عن الاستجابات الإيجابية التي كانت نصيب إطلاق الفكرة. ظهر الكراس عام ١٩٩٨، بمناسبة الذكرى الخمسين لصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأعيد نشره عام ٢٠٠٢م، ضمن كتاب: **ثلاث مبادرات من أجل حقوق حضارة العرب والمسلمين**.

واستمرت الاستجابات الإيجابية من عام ١٩٩٨ وإلى الآن، ومن أبرزها مقال الدكتور علي الدين هلال، وزير الشباب والرياضة الحالي في مصر، وكتاب الأستاذ محمد حسن كمال الدين، وزير الدولة السابق في البحرين. وكان من أبرز الاستجابات مقال لعضو المنتدى الكاتب الأستاذ أحمد حمروش. ومن المفترض أن تظهر هذه الاستجابات في كراس يجري الإعداد له الآن.

وفي عام ٢٠٠١-٢٠٠٢ سَجَّلت حصيلة التعريف بحلف الفضول نجاحاً كبيراً على الصعيد السوري بخاصة. ففي حزيران ٢٠٠١ وصف السيد فاروق الشرع، وزير الخارجية السوري، حلف الفضول في مقابلة صحفية، بذات الصفات التي أصف بها الحلف، وهي أنه يصلح اعتباره أول تنظيم للدفاع عن حقوق الإنسان في العالم.

ثم إنه في أيلول ٢٠٠١م ابتدأ الوزير الشرع (وزير خارجية سوريا) خطابه أمام مؤتمر دوربان الحكومي المناهض للعنصرية، ابتدأه بالإشارة إلى حلف الفضول من حيث إنه حلف مناهض للعنصرية.

ثم في أيار مايو ٢٠٠٢ عُقِدَت في دمشق ندوة عالمية حول صراع الحضارات نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، وقد ظهر في بيانها الختامي ذكر لحلف الفضول من حيث إنه أول عهد لحقوق الإنسان.

ومؤخراً أشار الأستاذ الدكتور محمود السيد، وزير التربية السوري، إلى أن حلف الفضول رائد في مجال حقوق الإنسان. ثم إنه في ١٤/ ٢١/ ٢٠٠٢م، اتصل بي السيد عميد كلية حقوق جامعة حلب، وأبلغني قرار رئاسة الجامعة المعتمد على قرار مجلس رؤساء جامعات سورية، بأن يُفسَح المجال في الكتاب المقرر عن حقوق الإنسان للحديث عن حلف الفضول. ومن المعلوم أن مقرَّر حقوق الإنسان المشار إليه آنفاً هو أول مقرَّر عن حقوق الإنسان يعطى في الجامعة السورية، وهو يندرج ضمن إطار مقرَّرات السنة الأولى من كلية حقوق التعليم المفتوح.

وكذلك أبلغني السيد العميد أن حلف الفضول سيكون له مكان في مقرِّر الحقوق الدستورية الذي تقدمه كلية حقوق حلب، ضمن برنامجها التعليمي العادي. وبالطبع، فقد

قمت بالتعريف بالحلف في مقرر حقوق الإنسان الذي أعطيه في معهد الشرطة منذ صيف ٢٠٠٢.

هذا وقد التقيت في ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٢م، في جنيف بالسيد سيرجيو دي ميلو، المفوض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة فحدثته عن حلف الفضول، فأصدر مكتبه الصحفي خبراً مفصلاً عن اللقاء وعن الحلف وعن أهميته. ثم إنه وعدني بدراسة ما قدمت إليه من وثائق (بالفرنسية والإنكليزية) ووعد بأن يدرس إمكانية إشارته هو نفسه إلى حلف الفضول في مناسبات قادمة.

وأذكر هنا أن المفوضين الساميين لحقوق الإنسان اللذين سبقا السيد دي ميلو في تسلم المنصب، وَجَّه كل منهما إليَّ رسالة بها كلمات طيبة عن الحلف في إجابتهما عن رسالتين مني إلى كل منهما. ثم إن من الواجب أن أذكر هنا... حماسة الأستاذ عدنان بدران (نائب مدير عام اليونسكو سابقاً) لحلف الفضول وبذله جهداً؛ كي تتبنى اليونسكو اعتباره أول تنظيم للدفاع عن حقوق الإنسان في العالم. كذلك من الواجب أن أذكر أنه في زيارة لي لعَمَّان قبل سنوات بحثت الفكرة مع السيد أمين عام اتحاد الجامعات العربية الأستاذ الدكتور مروان كمال وسلمته بعض الوثائق بهذا الشأن وكانت استجابته أثناء البحث إيجابية جداً.

ما المطلوب

«الماغنا كارتا» وثيقة بالغة الأثر في تاريخ بريطانيا، وما تزال ظاهرة في كل مناحي الحياة الفكرية والسياسية في العالم الأنجلوساكسوني الأمريكي. ولعل الهيئات التي تحمل اسم «الماغنا كارتا» تعد بالمئات إن لم يكن بالآلاف.

أحب لحلف الفضول أن يشيع ذكره بين العرب والمسلمين (بل في العالم)، على نحو مماثل لشيوع ذكر الماغنا كارتا في العالم الأنجلو ساكسوني الأمريكي، وإن كان عليَّ أن أعترف أن هناك انقطاعاً في ذكر حلف الفضول (وربما في فلسفته) منذ قرون عديدة. جمعيات ومجلات ومعاهد باسم حلف الفضول أمور مطلوبة وممكنة. ثم إن جامعة حلب تقف الآن في طليعة الجامعات العربية في مجال تبنِّي الإشارة إلى حلف الفضول، وحبذا لو تتابعها الجامعات العربية والإسلامية.

ثم حبذا لو أن الجمعيات المعنية بحقوق الإنسان تتابع الجمعية السورية لحقوق

الإنسان في إشاراتها المستمرة إلى حلف الفضول ببياناتها وبالطبع أرحب بالإشارات المتصاعدة إلى حلف الفضول التي أشاهدها في الأدبيات العربية الخاصة بحقوق الإنسان. وأحيي الصديق الدكتور عبد الحسين شعبان، المفكر المعروف والعضو في منتدانا، إذ نتابع معاً موضوع تأسيس معهد حلف الفضول للعدالة والقانون الدولي الإنساني.

وقد ذكر الأستاذ الدكتور فهمي جدعان في محاضرة له صباح الثلاثاء ٢٠٠٢/١٢/١٧ أن أهم كتاب ظهر مؤخراً في الفكر السياسي هو كتاب جون رولز الذي يبحث عن العدالة عائداً في تأصيل الفكر السياسي، إلى كتاب الجمهورية لأفلاطون. والحال أننا نجد في حلف الفضول تجلياً واضحاً من تجليات العدالة، بل إنها هي أساس وجوده، ويزيد حلف الفضول عن المفهوم المجرد للعدالة أنه آلية لتنظيم إنفاذ العدالة. يصح اعتبار حلف الفضول أول تنظيم للدفاع عن حقوق الإنسان في العالم، كذلك يصلح الحلف أساساً لتنظيم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، بل وأساساً لتنظيم العلاقة بين الدول.

ومؤخراً في برنامج «أكثر من رأي» الذي تبثه فضائية الجزيرة، استمعت إلى مسؤول تركي من حزب العدالة والتنمية يجيب على سؤال عن العلاقة بين تركيا وبين الدول العربية. كيف يجب أن تكون؟ كانت إجابته: لتكن على أساس حلف الفضول.